

فعالية التأثير وعوائق تلقي النص الادبي في الكتاب المدرسي الجزائري

الأستاذ: محمد بشري
إشراف الاستاذ الدكتور علي ملاحي
جامعة الجزائر 2

ملخص المقال باللغة العربية:

للغة العربية مكانة مقدسة بيننا فهي ليست لغة تواصل بين أبناء الأمة العربية فحسب وإنما هي لغة القرآن مما يتوجب علينا ترقيةها والإكبار من شأنها وحيث أن منظومتنا التربوية اعتمدت في مناهجها عليها كوسيلة للتعبير ونشر القيم الروحية والثقافية فكان لزاما على المدرسة أن تعتني بهذه الأداة وتجعلها طيعة لدى المتعلمين وهو ما يعزز شعورهم بالانتماء إلى هذه الأمة. ومظهر الاعتناء بهذه اللغة الحرص على انتقاء أجود النصوص لما لها من آثار في إعداد النفوس وتكوين الشخصية إذ توفر للمتعلم ثروة لغوية زاخرة تثري عقله بما توفره من صور جميلة.

النظام التربوي بصورة عامة وتدرّس النص الأدبي بصورة خاصة يحتاجان إلى نظرة جديدة متفتحة على المستجدات الحديثة وما تفرزه التحولات الفكرية من أبحاث ونظريات كما يبقى الهدف الأسسى من تدرّس النصوص هو تربية التذوق الفني للمتعلمين ويساهم في ذلك كل من المعلم والمتعلم والنص ذاته.

ملخص المقال باللغة الانجليزية:

The Arabic language has a sacred place among us. It is not a language of communication between the sons of the Arab nation, but it is the language of the Qur'an, which we must promote and respect. Since our educational system was adopted in its curricula as a means of expression and dissemination of spiritual and cultural values, the school had to take care of this tool and make it accessible to learners Which enhances their sense of belonging to this nation.

And the appearance of taking care of this language to ensure the selection of the finest texts because of the effects in the preparation of souls and character formation, providing the learner rich linguistic wealth enriches his mind with the beautiful images.

The educational system in general and the teaching of the literary text in particular need a new and open look at the latest developments and the results of the intellectual transformations of research and theories. The ultimate goal of teaching texts is to raise the artistic taste of the learners and contribute to that of the teacher and the learner and the text itself.

تحتلّ اللغة العربية في عقولنا ووجداننا مكانة عظيمة ومقدسة فهي قبل كل شيء لغة الوحي أعظم رسالة للبشرية قبل أن تكون لغة للتواصل بين أبناء الأمة العربية. وهي عنوان هويتنا وجسد ثقافتنا ولسان ديننا وقرآننا.

وإذا كان من حق كل أمة أن تعزّز بلغتها وتعلي من شأنها ، فإنه من واجبنا أن نحب لغتنا وننصّوبها ونذود عنها . نقول هذا في خضم إعصار العولمة الجارف الذي إن كنا لا ننكر ما قد يحصل من تلاقح للثقافات في فائدة البشر إن أريد بالعولمة خيرا فقد جعل الله الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم .

ولأن المنظومة التربوية الجزائرية تعتمد على التربية والتعليم باللغة العربية فقد ركزت عليها باعتبارها اللغة الرسمية الأولى وباعتبارها أيضا إحدى مكونات الشخصية الجزائرية حيث جاء في ديباجة أمرية 16 أبريل سنة 1976 " إن وطنية المنظومة التربوية تفرض عليها منح التربية باللغة العربية كما تفرض عليها نشر القيم الروحية والثقافية الأصيلة لتساهم بدورها في إحياء تراث عريق غني بمظاهر التقدم ويتوقف تكييفها مع مقتضيات الجماعة"¹.

وتطبيقا لذلك جاء في المادة الثامنة من المرسوم المؤرخ في 16 أبريل سنة 1976 "التعليم يكون باللغة العربية في جميع مستويات التربية والتكوين وفي جميع المواد".

ولا غرابة في أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم فهي مقوم أساسي من مقومات الشخصية الجزائرية وقد لعبت اللغة العربية طوال قرون عديدة دورا كبيرا في الحفاظ على التماسك الاجتماعي القوي للمجتمع وقد أشار إلى ذلك البشير الإبراهيمي في مقالة له كتبها سنة 1963 إلى أن " اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ومن ثمة فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلمها فكيف إذا اجتمعتا : حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أننا

المادة 08 من المرسوم 35/76 المؤرخ في 1976/4/16¹

مسلمون وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية جنس ففي المحافظة عليها محافظة جنسيته ودينه معا¹.

اللغة العربية في المنظومة التربوية وسيلة للتعليم والتواصل والتبليغ ولهذا كان لزاما على المدرسة أن تعنى بهذه الأداة وتجعلها أداة طيعة لدى المتعلمين وسليقة فيهم فتصبح أساس تفكيرهم ووسيلة تعبيرهم.

وعلى المدرسة أن تعمل على استعادة التلاميذ الثقة بلغتهم والاعتزاز بثقافتهم مما يعزز لديهم الشعور بالانتماء للأمة. إن الهدف الأسى لتعليم اللغة العربية - كما ورد في المنهاج - " تزويد المتعلمين بكفاءة يمكنهم استثمارها في مختلف وضعيات التواصل الشفهي والكتابي ولم يعد المطلوب من تعليم اللغة العربية يقتصر على معرفة بعض النماذج الأدبية وبلاغتها ولا معرفة القواعد النحوية والصرفية فحسب بل جعل التلميذ يبلغ أعلى مستوى من الفهم والإدراك واستعمال المعرفة سواء على المستوى الشفهي أو الكتابي"².

مكانة النص الأدبي في منهاج اللغة العربية :

أثبتت الأبحاث والتجارب أن التمكن من اللغة له ارتباط وثيق بالقدرات العقلية وبالقدرة على الفهم والإفهام وبالتحصيل في كل نواحي المعرفة والثقافة وتتجلى اللغة وتبرز من خلال النصوص الأدبية بحيث نجد في تحليل النصوص مجموعة من الأهداف التعليمية فعلى المعلم أن يكتشف معطيات النص الداخلية والخارجية من خلال اكتشاف المعنى العام للنص كما يكتسي نشاط النصوص الأدبية أهمية بالغة في بناء شخصية المتعلم إذ هو ميدان ممتاز يمكن المعلم في هذا المستوى من جعل المتعلمين منهجين في عملهم موضوعيين في تفكيرهم مقنعين في نقاشهم معترزين بمقومات أمتهم واعين بدورهم في مجتمعهم الذي ينتمون إليه.

إن الدراسات الأدبية اليوم " تقرر أن للنصوص الأدبية المكانة الأولى في إعداد النفس وتكوين الشخصية وتوجيه السلوك بوجه عام وهي بذلك من أليق الدراسات بالتلاميذ

- البشير الإبراهيمي : عيون البصائر سنة 1964¹

للجنة الوطنية للمناهج : الدليل المنهجي لإعداد المناهج سنة 2009 ص 237²

لأنها الدراسة التي ترمي إلى تنوير الفكر وتهذيب الوجدان وتصفية الشعور وصقل الذوق وإرهاق الاحساس¹.

من هنا تبقى النصوص الأدبية خير وسيلة لخدمة اللغة العربية وتعليمها ونشرها وكذلك أفضل أداة لإشاعة عبقريتها بين أهلها ومحبيها وذلك لما توفره هذه النصوص الأدبية المنتخبة والجيدة من جماليات في القوالب والأشكال ومن ثروة لفظية زاخرة تثري حصيلة متعاطيها من أخیلة وتصوير جميل بديع ولما تزوّد به المتلقي من الملكة في معرفة أسرارها ودقائقها ولما تساهم به من غرس الذائقة الأدبية الرفيعة في استكناه مزايا اللغة العربية وتجليات إبداعات أدباءها المتميزين في التفكير والتعبير والاعتناء بالنصوص الرفيعة يرقى بعقول الناشئة.

وما من ريب في أن ذلك التشوه الذي لحق بعضا من مناهجنا من خلال النصوص الأدبية المقترحة حيث قلت العناية بهذا الدور العملي الفعال في تحليل جماليات النصوص الأدبية من حيث الاختيار والشرح والتحليل الفني مما أدى إلى ضعف هذا الدور العملي للنصوص الأدبية فضعف بذلك تأثير النصوص الأدبية بجمالياتها في خدمة اللغة العربية وفي تكوين الناشئة. على عكس كتبنا وبرامجنا القديمة التي عرفت نصوصا أدبية شعرية ونثرية مختارة ومتميزة ساهمت إلى حد كبير في الرقي بعقول الناشئة من المتعلمين واسترعت اهتمامهم ورسخت في أذهانهم فتمثلوها في حياتهم وكتاباتهم. غير أن ما طرأ على برامجنا من تغيير وتعديل جعل كثيرا من هذه النصوص الجميلة تختفي وتتقفر حيث شهدت تراجعا وضمورا بل ضعفا في العناية بالنصوص الأدبية التي تغذي اللسان والوجدان من جهة وتسهم في شرح النص الأدبي وتحليل جمالياته والوقوف على مضامينه وأشكاله من جهة أخرى مما كان سببا مباشرا في بعث الملل في نفوس المتعلمين وبالتالي النفور من تعلمها وتعليمها فانعكس ذلك سلبا على اللغة العربية ذاتها فتراجع امتدادها وانتشارها بين أوساط المتعلمين فصرنا لا نرى من النصوص لذلك الجيل من الكتاب العمالقة كالعقاد وطه حسين والبشير الإبراهيمي وغيرهم ومن الشعراء كحافظ إبراهيم وإيليا أبي ماضي وخليل جبران ومحمد العيد ومعروف الرصافي إلا القليل.

- وزارة التربية الوطنية ؛ منهاج السنة الأولى متوسط ؛ الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية جوان 1
2013 ص 16

إن السحر الذي نجده في الأعمال الأدبية على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها لاسيما تلك النصوص ذات الصور المعبرة والأساليب المتقنة تجعل المتعلمين يميلون إلى دراستها لأنهم يجدون فيها المتنفس الذي تتحرر به أذهانهم من أثقال الدراسة وكآبتها وكلها. كما أنه يعتبر الفترة "التي يتخلص فيها المتعلمون من معالجة المادة الميتة الجامدة فينصرفون إلى النوازع البشرية والطبائع الإنسانية فيرون فيها حياتهم ويستأنسون بها لما تفيض به عليهم من ينابيع الحق والخير والجمال"¹. إن المتعلمين في هذه المرحلة أو السن بحاجة إلى هذا الجانب الوجداني وإلى تلك النصوص التي تنلمس أثرها من خلال العاطفة والروح وتصادف من المتعلمين صدى واستجابة سريعة ومشاركة نشيطة فيها بل وتعاملا قويا معها.

إن القيمة التربوية للنص الأدبي لا يمكن حصرها في تعبير معين وإن كانت تُعوّد التلاميذ على جودة النطق وسلامة التعبير كما تدرّبهم على دقة الفهم وحسن استخلاص معاني الألفاظ وشرح الأساليب الأدبية التي تتميز عادة بالدقة وحسن التركيز كما تنمي ثروتهم اللغوية بواسطة النصوص المدروسة التي تشمل طائفة من الألفاظ الجديدة والتراكيب والمعاني وتكشف ما فيها من أثر ومعاني وأساليب تنمي فيهم الذوق الأدبي الرفيع "فيتوسع أفق فكرهم وتزيد صلتهم بالحياة وما فيها لأنواع من السلوك والنشاط ضف إلى ذلك فهم المتعلمين للطبيعة الإنسانية المصورة من خلال النصوص الأدبية كما تنمي خبراتهم المختلفة في جميع المجالات فتربط حاضريهم بماضيهم وتعزز قيمهم ومثلهم واتجاهاتهم الروحية والخلقية والاجتماعية والوطنية وتعرفهم على أدياء عصرهم أو قبل عصرهم ليستلهموا العبر فتجعلهم يتمتعون بما فيه من جمال للأفكار وجمال للعرض وجمال للأسلوب فيبعث في نفوسهم الراحة فيسمو ذوقهم الجمالي والفني"².

معايير اختيار النص الأدبي:

يعتمد اختيار النصوص الأدبية في موضوعاتها على مجموعة من المبادئ الأساسية التي تتمثل في الانتقاء والتنظيم ثم التقديم والإخراج ؛ حيث يتمثل الانتقاء في اختيار النصوص اللغوية وفقا لمعاري الملاءمة والتوافق أما الملاءمة فتعني تلازم المضامين والمعاني التي تحويها النصوص الأدبية بمختلف أنواعها مع البنى المعرفية للمتعلمين

- عبد الحليم ابراهيم : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية : دار المعارف القاهرة ط 5 ص 251.

- عبد الفتاح حسن البجة : أصول تدريس اللغة العربية بين النظرية والممارسة؛ دار الفكر عمان²

ط 1 1995 ص 76.

خاصة جوانب القيم والأهداف والدوافع. أما التوافق فيراد به مدى احتواء هذه النصوص على البنى ومنه المثل والأصول والتراكيب التي يحتاجها المتعلمون في مرحلة من مراحل التعليم وأما التنظيم فيراد به ترتيب هذه النصوص وفقا للكيفية الفكرية الذاتية التي يرتب بواسطتها المتعلم معلوماته. وأما التقديم فهو اختيار الوسائل الكفيلة بتيسير تعامل المتعلمين مع هذه النصوص بمحاولة استئصال عوامل التشويش بحيث يصل مردود التواصل بين المتعلم والموضوع حد الكمال.

. كما ينبغي أن يكون النص المختار مرتبطا بمناسبة يمكن اتخاذها تمهيدا للدرس يتفاعل من خلالها المتعلمون مع أحداث وطنهم فتترك فيهم الأثر وترسخ في أذهانهم .
انتقاء النصوص من عصور مختلفة لدراسة ذلك العصر ومن خلال النصوص يمكن استشراف الصور المتكاملة لذلك العصر من خلال الخصائص الفنية للأدب وتاريخه.
. أن يطول النص بحيث يكون كافيا لإحداث المتعة ولتأمين توافر المظاهر السياسية والاجتماعية الذي من أجلها اختيرت هذه النصوص.
. كما يجب انتقاء النصوص التي تشمل على المعاني السامية والقيم الأخلاقية ومما يهذب النفوس ويشحذ الهمم ويوقد العزائم.
. يلبي اختيار النص الأدبي متطلبات المنهاج وأهدافه فيختار من النصوص الأدبية ما هو أهل لذلك.

. انتقاء النصوص الأدبية ذات الفكرة الجميلة التي تكون مصدرا للمتعة الفنية والتي تحمل الصور والمعاني والأخيلة أو التي تعبر عن العواطف البشرية السامية أو الظواهر الطبيعية والاجتماعية والتي تمتعنا لما فيها من جمال الأسلوب والعرض وموسيقى اللغة والإيقاع والسجع والقافية لأن النص الجميل يكسب المتلقي أو القارئ الذوق الفني ويبعث فيه روح السرور والراحة وهكذا يسمو بذوقه الأدبي نتيجة مزاولته لقراءة الأدب الجميل فتتربى عنده عاطفة حساسة تؤثر فيما تخيره منه لقراءته كما تغرس في نفسه المثل العليا من الأخلاق والسلوك التي يهتز لها الوجدان وتحفره على الاقتداء بها.
أهمية القراءة في مرحلة التعليم المتوسط:

تعد القراءة من بين مجالات النشاط اللغوي الهامة بل والمتميزة بالنسبة للمتعلم كفرد وكذا بالنسبة للجماعة كمجتمع باعتبارها بالدرجة الأولى أداة اكتشاف ومعرفة واتصال لما ينتجه العقل البشري.

يشير واقعنا التربوي إلى تدني مستوى المتعلمين في القراءة وهو ما يعكس بعض نواحي القصور في معالجة هذا النشاط اللغوي الهام حيث نجد أن بعض الطرائق لا تزال تقف عند المفهوم السطحي للقراءة فإذا كانت "الكتابة ليست مجرد آلية رسم الحروف فكذلك القراءة ليست آلية لفظ تلك الرسوم فذلك شأن تلاميذ المرحلة التعليمية الأولى الكتابة التي أقصدها هي فعالية إنتاج النصوص ومن ثم تداولها وأقصد بالقراءة فعالية تلقي تلك النصوص والتعامل معها ومن ثم التورط في تفسيرها وتأويلها وإعادة إنتاجها"¹. لا يجب أن نسلم بأن القراءة مجرد استسلام للنص أو للآراء المتداولة حوله بل "هي القراءة التي تحاول أن تعيد للنص بكورته وعذريته وأن تعقد عليه آمالاً أكبر حين تبتعد به عن الجمود والفقر وتحرره من رؤية عصر بعينه وجيل بذاته إنها القراءة التي تطمح إلى تحريره من سطوة الأسماء المشهورة التي سبقت وأن أعطت رأياً فيه هي القراءة التي تدعوه إلى فضاءات أرحب وهي أيضاً القراءة التي تحترم القارئ باعتباره مالكا للنص وليس مُلكاً له أو للآراء السائدة حوله"².

إن عدم الفهم لطبيعة القراءة من جهة وتدريبها بهذه الأساليب العقيمة من جهة أخرى حيث أصبح لا يثير اهتمام المتعلمين ولا يتحدى تفكيرهم مما أدى إلى إحساس المتعلمين بعدم جدوى القراءة وأهميتها ولذلك فأول ما ينبغي أن تؤمن به المدرسة وتركز عليه هو إعادة النظر في هذه الممارسات المتعلقة بالفعل القرائي وأن مفهوم القراءة قد تغير في ظل التربية الحديثة ودراساتها وأبحاثها ونظرياتها فصار لزاماً إعادة النظر في أساليب معالجتها وطرائق تدريسها ولن يتأتى لها ذلك إلا بوجود المعلم الكفاء القادر على تبني مثل هذه الأساليب ثم العمل على ترجمتها إلى واقع ممارس ومن جهة أخرى ضرورة وضع المتعلم في جو تعليمي طبيعي يجعله يتعامل مع الأنشطة المقدمة له تعاملًا صحيحًا ومناسبًا فيتفاعل معه تفاعلاً حقيقياً.

إن المتتبع للمسار التعليمي في برامج مرحلة التعليم المتوسط خاصة ما يتعلق بتقديم أنشطة مادة اللغة العربية للمتعلمين يدرك لا محالة تلك الطرق التقليدية السائدة والتي لم تعد قادرة على مواجهة تغيرات العصر ومواكبته بل لم تعد قادرة على الإيفاء بحاجات

- محمد راتب الحلاق النص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب والإبداع منشورات اتحاد الكتاب

العرب دمشق 1999 ص 9

- نفسه ص 10²

المتعلم التعليمية. والبحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك يعود بنا إلى أكثر المؤسسات ارتباطا بصناعة الانسان وهي التربية.

فالنظام التربوي بصورة عامة وتدرّس النص الأدبي بصورة خاصة يحتاجان إلى نظرة جديدة متفتحة على المستجدات الحديثة وما أفرزته التحولات الفكرية من أبحاث ونظريات قصد جعل المتعلمين يفهمون هذه النصوص ويحلّلونها ويسبرون أغوارها للوصول بها في مرحلة ثانية لتذوقها وبالتالي الإقبال عليها.

وتبقى مناهجنا التربوية وبرامجنا التعليمية بعيدة عن بعض النظريات والدراسات وهو ما أدى إلى خلق القطيعة بين النص الأدبي وتفاعل المتعلم معه حيث أصبح المتعلم ينفر من هذه المادة لانعدام الفهم والتذوق الجمالي للنص الأدبي لديه بل انتقل هذا الأمر إلى المعلم ذاته.

إن استقراءنا للعوائق التي تقف وراء هذا النفور من فهم النصوص وتذوقها قد يعود لعدة عوامل قد ساهمت في ذلك ولعل أبرزها: الطريقة المتبعة في تحليل النصوص الأدبية وعدم وعي دارسي النص بالمهارات اللازمة لتحليلها سواء ما تعلق بالشكل أو المضمون " فجوهر المشكلة مائل في ذلك الركّام التقليدي التعليمي الذي صار عليه المعلمون والتلاميذ في ممارسة القراءة وتحليل النصوص من منظور يعتمد على شرح الكلمات التي لا توصل التلميذ إلى المعنى الحقيقي للنص والفهم الصحيح له إذ لا يتجاوز التلميذ هذا المستوى وبهذا يكون فهمه مفككا فلا تنشط لديه عمليات الفهم بينما لو ركز المتعلم على الجمل والفهم والمعنى لاستطاع بذلك تنمية قدراته المختلفة على التحليل والمناقشة والفهم بل والتذوق أيضا"¹.

إضافة إلى هذا العائق هناك أيضا عدم الوعي بالظاهرة اللغوية المكتوبة أي النص الأدبي المقدم للتلميذ فالإكتفاء بتلك الدراسات العقيمة له والتي لا تتعدي مجرد التعرف على أفكاره الأساسية أو فكرته العامة أو المغزى الذي يتضمنه أو التعرف على الشرح المعجمي لبعض ألفاظه كل ذلك يساهم في تقزيم النص وإخضاعه لعملية قيصريّة جاهزة ومحضرة سلفا ولطالما كانت روتينية حيث أضحت كل النصوص تخضع في عملية تحليلها وتناولها لطريقة متشابهة من حيث الخطوات والعناصر المعتمد عليها

-عائشة رماش تعليمية النص الأدبي وأثرها في الفهم والتذوق منتدى ستار تايمز بتاريخ¹

ثم إطلاق الأحكام الجاهزة حتى صرنا لا نشعر بهذه الفروق إلا من حيث تعدد النصوص واختلافها في مضامينها.

وأدى الاعتماد الكلي على المنهاج الدراسي ودليل الأستاذ اللتان حددتا طريقة تناول النص بمجموعة من العناصر وضعها المؤلفون وذُيِّل بها الكتاب المدرسي إلى جمود التفكير وهوما يتعارض مع عملية الإبداع ذلك أن التدريس الناجح هو الذي يخلق لنفسه طريقة معينة تتجدد بتجدد الظروف المحيطة بالعملية التعليمية التعلمية فكان سببا في تباعد الهوة بين النص ومتلقيه أي المتعلم والنص المقترح للدراسة فغابت معه عملية التذوق وتسرب إلى المتعلمين الملل بل النفور من هذا النشاط ولأن " التذوق يتطلب تفاعلا واندماجا من المتلقي مع العمل الأدبي لأن التذوق ليس مجرد عملية تقبل سلبي للعمل وإنما يفترض القيام بعمليات إيجابية لأن التذوق يفترض القدرة على الاختيار والانتباه لعناصر الجمال ولخصائص العمل الفني لأننا ندرك عملا فنيا لا نراه دفعة واحدة بل يأخذ في تعديل رؤيتنا وننتقل تدريجيا من زاوية إلى أخرى"¹.

ان التذوق يتطلب أن يفهم المتعلم العمل الأدبي بمختلف أجزائه فهما يحيط بكل التفاصيل المتعلقة بالنص الأدبي لأنه يعتبر جزءا أساسيا من عملية التذوق وإخفاق المتعلم في فهمه يساهم لا محالة في عدم الاستمتاع به "فالنص الأدبي لا يكون إلا من خلال الاستجابة لما يتضمنه العمل الأدبي من خصائص فنية وجمالية وخيال مبتكر وعاطفة صادقة وألفاظ موحية وأسلوب شائق وموسيقى جميلة فتتكامل كل هذه المقومات لخلق نص أدبي ذي وحدة عضوية واحدة لا يمكن أن ينفصل فيها عنصر عن الآخر"².

ورغم أن تدريس النص الأدبي في مرحلة التعليم المتوسط يرمي إلى تنمية الذوق الفني لدى المتعلم وتربيته حتى يكون قادرا على تجاوز إدراك معاني النص والإحاطة بجزئياته وفهم مفرداته وأنماطه اللغوية بل يصل به الأمر إلى "توهج الخيال فيتجاوز النص إلى ما وراءه من معاني فيؤوله ويقرأه قراءة جديدة تكون في حقيقتها مشاركة فعالة في إنتاجه وإبداعه من جديد إذ يصير القارئ ليس مجرد متلق سلبي أو قارئ مستهلك فقط وإنما يرتقي في كيفية تعامله مع النص إلى درجة التذوق التي تصبح عملية تفاعل بين النص

- أميرة حلي مطر مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن دار المعارف القاهرة 1989 ص 69

- ماهر شعبان عبد الباري التذوق الأدبي طبيعته نظرياته مقوماته معايير قياسه دار الفكر عمان 2

الأردن ط1 2009 ص 175

والقارئ أو بين منتج النص والمتلقي على أرضية النص فإذا كان الكاتب يخلق من اللغة أشكالاً يتجاوز بها واقعها المشخص ويرتقي بالمفردات لخلق نصوص تتجاوز فيها الكلمات مدلولها المعجمي الجزئي فإن القارئ بقدرته يعيد خلق ما أبدعه الأديب حين يضيف على النص خصائص ومعانٍ ويزوده بأشياء ما كانت تخطر على ذهن مبدع النص نفسه¹.

"إن القدرة على التفكير العلمي والقدرة على تذوق جمال الكون والاستمتاع بالفنون أمران أساسيان في حياة كل فرد وضروريان لتكامل شخصيته واستمتاعه بآدميته ومخطئ من يظن أن الحضارة الحديثة علم وتكنولوجيا فقط أو تقاس بهما فحسب فالحضارة الحديثة كما تقاس بهما تقاس بمدى تذوق شعبيها للفن واستمتاعه به ولإبداعه له"². فأهمية اختيار النصوص الأدبية ذات القيم الفنية البارزة في بناء محتويات المناهج الدراسية المخصصة لمرحلة التعليم المتوسط تساهم بشكل كبير ليس فقط في ترجمة الأهداف التربوية بمختلف جوانبها سواء كانت معرفية أو سلوكية أو مهارية ولكن أيضاً في بناء القيم الجمالية التي ترتبط بكيفيات البناء السليم للحس التدوقي للمتعلم.

تلقي النص الأدبي لدى المتعلم وعوائقه:

النظام التربوي بصفة عامة وتدرّس النص الأدبي بصفة خاصة يحتاجان إلى إعادة النظر ويرجع السبب في ذلك إلى المتغيرات المستمرة التي تعددت وتنوعت فصارت كثير من الأشياء لا تواكب التطورات التي يشهدها العصر الحديث من ثورة تكنولوجية هائلة ومعارف جارفة وعليه صار لزاماً على المنظومة التربوية إعادة النظر كلياً في طرائق معالجة النصوص الأدبية إذ لا بد للجهود أن تنصب على كيفية فهم النص الأدبي وكيفية تحليله وقراءته ولم لا تأويله وتحقيق متعة التدقيق بعد ذلك. هكذا تعددت النظريات وتفرعت القراءات غير أن منظومتنا ظلت حبيسة الدراسات والتحليلات العقيمة فحدثت القطيعة مع النص الأدبي وصار المتعلمون لا يتفاعلون معه وأصبح النفور والتبرّم ظاهراً من هذه المادة فانعدم الفهم والتذوق الجمالي للنصوص الأدبية لديه. ولأن عملية تربية الذوق من أهم ما تتجه إليه شعوب العالم المتحضر الآن إذ "لم تعد النظرة

¹²- محمد راتب الحلاق النص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب ص 51

- رشدي أحمد طعيمة الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها تطويرها وتقييمها دار
الفكر العربي القاهرة 1998 ص 142

إلى التذوق مجرد نظرة إلى شيء يدخل دائرة الترف باعتباره وسيلة تسلية للإنسان وإنما النظرة إليه تؤكد أنه شيء من مقومات وجوده بحيث يستحيل أن يكون الإنسان إنسانا دون تذوقه لمفردات الكون من حوله".¹

يؤكد رشدي طعيمة على أهمية التذوق الأدبي بقوله "إن القدرة على التفكير العلمي والقدرة على تذوق جمال الكون والاستمتاع بالفنون أمران أساسيان في حياة كل فرد وضروريان لتكامل شخصيته واستمتاعه بآدميته ومخطئ من يظن أن الحضارة الحديثة علم وتكنولوجيا فقط أو تُقاس بهما فحسب فالحضارة الحديثة كما تقاس بهما تقاس بمدى تذوق شعبها للفن واستمتاعه به".²

وإذا تصفحنا نوعية النصوص الأدبية المدرجة في الكتاب المدرسي لمرحلة التعليم المتوسط ومقارنتها بإقبال المتعلمين عليها نجد أنها قد تنوعت في مضامينها وغلبت عليها النصوص الأدبية التي تعتمد على جمال الشكل وزخرف القول وطغيان الذاتية والمشاعر مقارنة بالنصوص التي تتناول الجوانب العلمية البحتة ويكون نهجها الاعتماد على دقة اللفظ وموضوعية الطرح واستعمال المصطلحات العلمية الدقيقة كما أنها وردت في قالب نثري بعيدا عن الشعر وجمالياته خاصة وأن للشعر عذوبته الخاصة وذوقه المتميز وهو ما ساهم بشكل كبير في انعدام تنمية الذوق لدى المتعلم المتلقي والنفور منها في كثير من الأحيان لما تثيره هذه النصوص في نفوس المتعلمين من سأم وملل وشروء للأذهان كما أن انتقاء النصوص لكتاب غير معروفين أو أخذها من مواقع الشبكة العنكبوتية قد زاد في استفحال النفور والابتعاد عنها لأنها أرهقتهم لكثرتها وعدم تنوعها في القوالب. ولكي تحقق عملية التلقي لدى المتعلم التلميذ أكلها لابد من توافر مجموعة من الشروط سواء ما تعلق بالمعلم أو المتعلم أو النص الأدبي بل وحتى البيئة الخاصة بالمتعلم وبانعدام هذه الشروط تفقد عملية تلقي النص الأدبي وظيفتها التي خلقت من أجلها ذلك أن الدرس الصفّي هو نوع من أنواع التواصل اللغوي بين المعلم وطلابه وفي هذا الاتصال يستخدم المعلم وطلابه فنا لغويا واحدا أو أكثر للتواصل وبما أن "عملية التواصل عملية تكاملية فإن كل عنصر فيها يتأثر بغيره كما يؤثر في غيره من العناصر

- عبد اللطيف عبد القادر أبو بكر فعالية استخدام الطرائق الأدبية في تنمية مهارات التذوق
الأدبي لدى طلاب الصف الأول الثانوي مجلة كلية التربية ببها مج 12 ع 52 ص 251/252

- رشدي أحمد طعيمة الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها تطويرها تقييما دار
الفكر العربي القاهرة 1998 ص 142

الأخرى وإذا كان التلقي يقتضي مرسلاً ومستقبلاً ورسالة صوتية فإن هذه العناصر وحدها لا تحقق أهدافه إلا إذا توفرت فيه عدة شروط¹.

1/ شروط خاصة بالمعلم:

إن امتلاك المعلم للكفايات المهنية أمر ضروري ومهم حتى يقوم بمهمته على أكمل وجه والمقصود بالكفاية المهنية هي قدرة المعلم على القيام بعمله كمعلم بمهارة وسرعة وإتقان ، والكفاية المهنية عبارة عن مجموعة من المهارات المتداخلة معاً بحيث تشكل القدرة على القيام بجانب مهني محدد، لأنه من الضروري تكامل الكفايات المهنية لدى المعلمين ؛ من كفايات التقويم والإدارة الصفية، وكفاية المادة الدراسية والتعليم الذاتي وأساليب التدريس والكفايات الإنسانية والتجديد المعرفي والمعلم الناجح هو ذلك الذي يمتلك الكفاءات الأساسية للتعليم مثل كفاية التخطيط وكفاية التنفيذ وكفاية التقويم.

ومعلم اللغة العربية يختلف عن بقية المعلمين بحكم تخصصه فالقدرة على أدائه في التخصص التدريسي وطرق تدريسه، ويتضمن ذلك المعارف والمهارات المرتبطة بالتخصص وما يتصل بها من ممارسات تدريسية فاعلة تشمل تطبيق طرق التدريس الخاصة والتحلي بالسمات والقيم المتوقعة من المعلم المتخصص، بحيث يمثل في ممارساته وسلوكه الدور المأمول من معلم اللغة العربية الذي ينتظر منه أن يقدم الآلة التي يحتاجها الطالب في تعامله مع كل المقررات الأخرى لأن اللغة وعاء الفكر وأداة الفهم، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن إخفاق كثير من الطلاب وتقصيرهم في أكثر المقررات ليس راجعاً إلى صعوبتها ولا إلى قدرات الطالب العقلية، وإنما إلى إخفاقه في امتلاك آلة الوصول لتلك المعارف لأنه يفتقد القراءة الصحيحة، ولا يملك الفهم الدقيق لما يقرأ، وإن الانهماك في تعليم الطلاب المعارف المختلفة دون التأكد من امتلاكهم آلة التواصل معها يُعد عبثاً وهدرًا للأوقات والجهود ولا يمكن الوصول إلى نتائج مرضية أو صحيحة. من أجل ذلك لا بد من العناية قبل أي عمل تعليمي من إكساب الطلاب المهارات اللغوية الصحيحة التي تجعلهم يبادرون بأنفسهم إلى اقتحام المعرفة ومن أجل ذلك فلا بد أن يكون أستاذ اللغة العربية على خبرة بكيفية صياغة الأسئلة المثمرة والبناءة في جميع المجالات المتعلقة بتخصصه إضافة إلى ذلك حسن التخطيط

- راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد لحوامدة أساليب تدريس اللغة العربية دار المسيرة للنشر
والتوزيع والطباعة عمان الأردن ط1 2003 ص 215

الذي يساعد كثيرا المعلم في التجاوب مع طلابه ويثير استعدادهم للحصة فينعكس ذلك بالإيجاب على المتعلمين.

ويعتبر التخطيط خطوة مهمة جدا فهي تأتي قبل عملية البدء في عملية الإلقاء فلا بد أن تكون للمعلم معارف سابقة عن النص الأدبي المراد تدريسه لأن ذلك يساعده كثيرا في التأثير على طلابه ويكون واثقا من نفسه أمامهم لأنه يعرف ما سيقدمه في الحصة فيختصر عليه كثيرا من الوقت والجهد وينعكس ذلك إيجابا على المتعلمين كما أن الإلقاء الجيد والقراءة المعبرة وحسن الأداء وتمثيل المعنى يجذب المتعلمين ويشد انتباههم ويدفعهم إلى تذوق النص والاستمتاع به وهي خطوة أساسية لفك مغاليق النص وتحليله وتفسيره .

ولأننا وجدنا أن الطريقة المتبعة في تحليل النصوص الأدبية إضافة إلى عدم إدراك المهارات اللازمة لتحليلها شكلا ومضمونا من طرف المعلم قد ساهم في نفور هؤلاء المتعلمين وكذا الركاب التقليدي التعليمي الذي صار عليه المعلمون والمتعلمون في ممارسة الفعل القرائي وتحليل النصوص حيث صار يُكتفى بشرح الكلمات واستنباط الفكرة العامة أو الأفكار الجزئية دون التوصل إلى المعنى الحقيقي للنص أو الفهم الصحيح له. كما أن الاعتماد على الطريقة النمطية المتبعة في شرح النصوص سواء كانت نصوصا شعرية أو نثرية دون وعي بالظاهرة اللغوية المكتوبة لتقرأ في شكلها الذي هو حصاد تفاعلات لغوية وعقلية كثيرة ومتشابكة لا تكشف عنه تلك الدراسات السطحية العقيمة لأنها تقزم النص الأدبي وتحصره في مجرد قوالب نمطية جاهزة فتشابهت النصوص من حيث تحليلها وإصدار الأحكام بشأنها . إضافة إلى ذلك الاقتصار على النصوص المقررة فقط في الكتاب المدرسي لا يسمح باستخدام كل عمليات اللغة لأن المطلوب فقط من المتعلم كما حددته المناهج الدراسية هو الوعي فقط بتلك الشروح الموجودة في الكتاب والموضوعة سلفا من طرف المشرفين على العمل التربوي ومؤلفي الكتب. الأمر الذي أدى إلى تباين الفجوة واتساع الهوة بين المتعلم وتفاعله مع النص الأدبي لذا صار ينفر من هذه المادة ويشعر بالملل والضجر وهو يحلل أو يقرأ نص أدبيا فانعدم لديه الحس الجمالي فحال دون الوصول إلى مستوى الفهم الجيد للنص وتذوقه.

2/ شروط خاصة بالمتعلم:

تختلف نظرة المتعلم إلى النص الأدبي من متعلم إلى آخر وقد يمكننا أن نصف هذا المتلقي إلى صنفين: متعلم متلق سلبي ليس من حقه أن يضيف أو يعدل في النص بل

عليه أن يتلقاه كما هو دون مشاركة منه إلا مشاركة المتلقي ومتعلم متلق إيجابي وهو ذلك المتلقي الذي لا يمكن إنكار دوره في صناعة النص حيث يضفي عليه من معارفه وخبرته فهو شريك في عملية الاتصال الأدبي وله دوره الذي لا يقل أهمية عن دور الكاتب المبدع صاحب النص.

كما توجد عوامل تتعلق بالميل والرغبات وهي تلك المواقف السلبية للمتعلمين اتجاه الأدب عامة والنصوص الأدبية خاصة إلى عدم رغبة المتعلم في دراسة هذا التخصص وحتى تشجيع الأولياء يقل إن لم نقل أنه ينعدم فغاب بذلك التحفيز وقلّ التفاعل بين المتعلم وما يدرسه من نصوص أدبية فالعوامل النفسية والذهنية والانفعالية قضايا مهمة في تعليم اللغة العربية " فالقارئ ليس ذهناً فقط وإنما هو وجدان كذلك فله دافعية تؤثر في الفهم والتذوق وله انتباه واهتمام يؤثران في الفهم"¹. فإذا ما قلّ اهتمام المتعلم وانتباهه لما بين يديه من نصوص لسبب من الأسباب سواء ما تعلق بالمتعلم أو المعلم فإن ذلك يؤثر في الفهم وفي مشاركة المتعلم الإيجابية واندماجه في عملية التحليل والدراسة.

كما يضاف إلى كفاءات المتلقي أيضاً²: التوازن والاتزان العاطفي والجسدي لأن الأثر الأدبي الذي يتركه نص ما قد يكون سلبياً أو إيجابياً بسبب حالة المتلقي الجسدية والنفسية أثناء عملية التلقي ولهذا يجب على المتذوق للعمل الأدبي قبل أن يقرأ أي عمل لا بد له أن يتهيأ تهيؤاً كاملاً بكلية المتوازنة حتى يكون هناك تفاعل مع النص قائماً على المعاشية المتزنة الموضوعية المستندة إلى العلاقات الفنية فيه بمعزل عن أي تأثر ذاتي وكذا الموهبة الفطرية والذكاء العفوي والفتنة الحذرة والحساسية الفنية والنقدية الأصلية والمكتسبة والإرهاق الحسي المرهف ثم إجادة اللغة التي يقرأ بها ليتمكن من تذوق جماليات اللغة والغوص في دقائقها فيكون قادراً على النقد والموازنة بين النصوص الأدبية والتميز بينها.

3/ طبيعة النص الأدبي وترابط أجزائه وانسجامها:

- حسن عبد الباري عصر قضايا في تعليم اللغة العربية وتدريبها المكتب العربي الحديث
الاسكندرية 1999 ص 152

- حسين جمعة المسبار في النقد الأدبي دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص اتحاد الكتاب
العرب دمشق 2003 ص 44

يعتبر النص الأدبي ذلك "المبنى اللغوي الذي يتضمن رسالة أودع مضمونها في شكل خاص ذي نظم وعلاقات وهو بهذا يعد قولاً مزدوجاً يجري على مستوى الشكل كما يجري على مستوى المضمون ولهذا فإن النص الأدبي من أكثر المجربات الثقافية تعقداً وتتضاعف فيه المشقة اللازمة لتحليله وفهمه ومن ثم تذوقه"¹.

يضاف إلى ذلك أنه في كل نص "عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء وهي طرق لفض ظاهر النص للوصول إلى فحواه ويظهر أن معنى أي نص ليس سوى معانٍ متعددة منها ما يجيء من العبارة ومنه ما يكون من الإشارة ومنه من الدلالة ومنه ما يكون من الاقتضاء وكل هذه المعاني تكون من مدلولات النص دليلاً وحجة على كل معنى منها"². فالقراءة هي عملية تواصل بين القارئ والنص وستظل أفضل وسيلة للتربية والمران ويتوقف هذا وإلى مدى بعيد على ما نقرأه من أفكار أصلية وما في مضمونه من أفكار وآراء يحاول الكاتب إيصالها لنا. فطبيعة النص وتراكيبه وصعوبته أو سهولته وتعقده الأسلوبي وترابط أفكاره كل ذلك يساعد على عملية التلقي.

وعليه فإنه من الضرورة بما كان إعداد قارئ واع يكون قادراً على التعامل مع المقروء من منطلق الفهم والتحليل والنقد والتمثل كما أنه يتوجب علينا تنمية الميول الفطرية للأدب لدى المتعلمين وتشجيع هذه الميول وصقلها وتهذيبها وتعميقها وتبصير المتعلمين بالأساليب المختلفة التي تمكنهم من الاستمتاع بالأدب وفهمه ونقده وتذوقه.

هوامش البحث وأحالاته :

1 المادة 08 من المرسوم 35/76 المؤرخ في 1976/4/16

2- البشير الإبراهيمي : عيون البصائر سنة 1964

3- اللجنة الوطنية للمناهج : الدليل المنهجي لإعداد المناهج سنة 2009 ص 37

4- وزارة التربية الوطنية : منهاج السنة الأولى متوسط : الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية جوان 2013 ص 16

5- عبد الحليم إبراهيم : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية : دار المعارف القاهرة ط 5 ص 251 .

6- عبد الفتاح حسن البجة : أصول تدريس اللغة العربية بين النظرية والممارسة : دار الفكر عمان ط 1 1995 ص 76.

7- محمد راتب الحلاق النص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب والإبداع منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1999

ص 9

8- نفسه ص 10

9- عائشة رماش تعليمية النص الأدبي وأثرها في الفهم والتذوق منتدى ستار تايمز بتاريخ 2011/01/12

- حسن عبد الباري عصر قضايا في تعليم اللغة العربية وتدرسيها ص 292¹

- مصطفى السعدني المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية منشأة المعارف الاسكندرية 1987²

- 10- أميرة حلمي مطر مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن دار المعارف القاهرة 1989 ص 69
- 11- ماهر شعبان عبد الباري التذوق الأدبي طبيعته نظرياته مقوماته معايير قياسية دار الفكر عمان الأردن ط1 2009 ص 175
- 12- محمد راتب الحلاق النص والممانعة مقاربات نقدية في الأدب ص 51
- 13- رشدي أحمد طعيمة الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها تطويرها تقويمها دار الفكر العربي القاهرة 1998 ص 142
- 14- عبد اللطيف عبد القادر أبو بكر فعالية استخدام الطرائق الأدبية في تنمية مهارات التذوق الأدبي لدى طلاب الصف الأول الثانوي مجلة كلية التربية ببها مج 12 ع 52 ص 251/252
- 15- رشدي أحمد طعيمة الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها تطويرها تقويمها دار الفكر العربي القاهرة 1998 ص 142
- 16- راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد لحوامدة أساليب تدريس اللغة العربية دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان الأردن ط1 2003 ص 215
- 17- حسن عبد الباري عصر قضايا في تعليم اللغة العربية وتدرسيها المكتب العربي الحديث الاسكندرية 1999 ص 152
- 18- حسين جمعة المسبار في النقد الأدبي دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003 ص 44
- 19- حسن عبد الباري عصر قضايا في تعليم اللغة العربية وتدرسيها ص 292
- 20- مصطفى السعدني المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية منشأة المعارف الاسكندرية 1987 ص 26/19